

الكثير" خلال إدارة كوليك وإيهود أولمرت. فهذا الاحتلال العسكري "تمخض عن حياة بائسة بالنسبة إلى السواد الأعظم من عرب القدس الشرقية، الذين اختار كثيرون منهم الرحيل عن المدينة، تماماً مثلما أملت إسرائيل أن يفعلوا" (ص ١٠). وهذه العبارات تدين الاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية لأنها بالتحديد تأتي على لسان أولئك الذين أدوا دوراً في هذه السياسات.

يفصّل المؤلفون بعض الوسائل المحدّدة التي حاولت الدولة الإسرائيلية من خلالها السيطرة على مختلف القطاعات في المدينة، بما في ذلك الإسكان والخدمات والتعليم. فهم يعتبرون أنه منذ سنة ١٩٦٧، كان ما يحرك كوليك، وسلطات حاكمة أخرى، هدفين أساسيين: زيادة السكان اليهود عبر إعمار سريع للمستوطنات الإسرائيلية الصرف، وإيجاد مجموعة من الحوافز لحث اليهود الإسرائيليين على الانتقال إلى هناك. أمّا الهدف الثاني فيتطلع إلى إعاقة النمو السكاني للعرب، وتطوير السياسات التي تؤدي إلى مصادرة أراضهم وإجبارهم على ترك المدينة.

يظهر الكتاب، بشكل مقنع، وجود تنوع لافت في الآراء، ضمن التوافق الوطني الإسرائيلي، بشأن كيفية الحفاظ على السيطرة على السكان الفلسطينيين في القدس. وقد رفضت اقتراحات كوليك الضئيلة والمتعالية بإعطاء الفلسطينيين بعض الفتات من الدولة الإسرائيلية. لتحقيق سيطرة أكبر عليهم - من قبل عناصر أخرى من النخبة الإسرائيلية (بمن فيهم يتسحاق رابين الذي تمنى،

سياسة إسرائيل تجاه القدس منذ سنة ١٩٦٧

The Politics of Jerusalem since 1967

Michael Dumper

New York: Columbia University Press, 1997.

365 pages. \$ 31.00

منفصلون وغير متساوين: القصة الحقيقية للحكم الإسرائيلي في القدس الشرقية

Separate and Unequal: The Inside Story of Israeli Rule in East Jerusalem

Amir Chesin, Bill Hutman and Avi Nelamed

Cambridge: Harvard University Press, 1999. 275 pages.

\$ 27.95

متساوين" المستشارين السابقين لعمدة القدس الإسرائيلي في مكتب الشؤون العربية، تشيشين وميلاميد، بالإضافة إلى مراسل الـ "جيزورالم بوست" في القدس بيل هاتمان. وهؤلاء يملكون رؤية من لديه معلومات فريدة، و"من الداخل"، عن إدارة تيدي كوليك، فيقدم الكتاب، غالباً، مادة مشوقة بفضل تجاربهم ومصادرهم. ينتقد "منفصلون وغير متساوين" حكم الدولة الإسرائيلية في الأراضي التي احتلتها سنة ١٩٦٧، بأسلوب جيد وأسر. ويؤكد المؤلفون، خلال وصفهم لسياسات البلدية تجاه الفلسطينيين، أن الفلسطينيين "عانوا

يشكل الكتابان، موضوع هذه القراءة، مداخلات قيّمة فيما يتصل بالموضوع المثير للنزاع والذي لم يُدرس بقدر كاف، وهو موضوع القدس المعاصرة. ويقدمان، بطرق متنوعة، رؤية متبصرة للسياسة المعاصرة في المدينة، وتحديداً آليات الحكم الإسرائيلي التي استخدمت منذ احتلال القدس الشرقية في حزيران/يونيو ١٩٦٧. لكن هذين الكتابين يتناولان الاحتلال الإسرائيلي بطرق متباينة، انطلاقاً من افتراضات متعددة في شأن الـ "حقوق" المتعلقة بالمدينة. ويضم مؤلفو "منفصلون وغير

ما بعد ١٩٦٧، في حين أن الكتاب يتناول ما هو أوسع من ذلك. فالكتاب يسلط الضوء على الطريقة التي أعيد بها تكوين أجزاء كبيرة من القدس الشرقية ومن ثم دمجها في دولة إسرائيل منذ سنة ١٩٦٧. بيد أنه لا ينسى، على عكس تشيشين، لماذا تعتبر تلك الممارسات خرقاً لحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم الوطني ومصير المدينة. وتشير آراء المجتمع الدولي إلى مفارقة سياسية مهمة: على الرغم من أن الأمم المتحدة والمجتمع الدولي برمته يؤيدان اعتبار القدس الشرقية "منطقة محتلة"، فإنهما لم يستطيعا وقف إنشاء مستعمرة يهودية واحدة، ولا استرجاع دونم واحد من الأراضي الفلسطينية المسروقة في المدينة خلال السنوات الثلاث والثلاثين الأخيرة.

يقدم الكتاب تحليلاً معمقاً لهيكلية السيطرة الإسرائيلية في القدس، وينجح جداً في إيضاح ذلك. وبالإضافة، يدل أن يعيد دمير استخدام الأسلوب الصهيوني لإظهار المدينة كأنها "موحدة"، يستخدم مصطلحات تظهر عدم الشرعية الإسرائيلية. فلا يشير إلى المستعمرات على أنها "أحياء نظيفة" كما يفعل تشيشين وكثيرون غيره من المعلقين. فالقدس الشرقية يجري التعامل معها بصفاتها منطقة محتلة، لا مجرد منطقة متنازع في شأنها. ويتناول أحد الفصول الشيقة سياسات الدين، والقومية، والمساحة من خلال طريقة بحث مركبة من عدد من الاستراتيجيات المنهجية. وهنا، يكشف المؤلف النقاب عن عمليات صغيرة

عن القدس المعاصرة من دراسة تشيشين وزملائه بتحليل مستند إلى منهجية تاريخية دقيقة. ويضفي هذا التفصيل البسيط على الكتاب جانباً علمياً يفتقر إليه كتاب "منفصلون" وغير متساوين" الذي يركز، إلى حد كبير، على حكايات وخواطر. وعلى الرغم من تركيز المؤلف على مرحلة ما بعد ١٩٦٧، فقد قام بعمل رائع عندما وضع المسائل والموضوعات المتنوعة في سياقها التاريخي. أولاً، يلحظ دمير في فحصه للمساحة والجغرافيا أن الجزء الغربي من المدينة شهد أيضاً مصادرة واسعة للملكية، بالإضافة إلى أنه المكان الذي لم تُحكم إسرائيل فيه قبضتها إلا بعدما أجبرت أكثر من خمسين ألفاً من السكان العرب على الرحيل في سنة ١٩٤٨؛ وهذا ما لم يتطرق إليه تشيشين وزملاؤه. ويظهر دمير أن قضايا مثل الإسكان والديموغرافيا والدين وتوفير الخدمات، كانت محل نزاع قبل وقت طويل من الاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية في سنة ١٩٦٧. وعلى الرغم من أن دمير يتفق مع تشيشين وزملائه على أن هناك فعلاً سياسات إسرائيلية للحد من عدد السكان الفلسطينيين في المدينة والتصديق عليهم، فإنه يضع هذه الخطط في إطار الصراع بشأن المدينة قبل سنة ١٩٦٧ وهوس المخططين الصهيونيين بال "تهديد" الذي تشكله أعداد كثيرة من الفلسطينيين على مشروعاتهم الحصري. إن عمل دمير مثير للإعجاب إلى درجة أن أحد الانتقادات القليلة التي يمكن للمراجع أن ينيه إليها يتصل بعنوان الكتاب، الذي يوحي بالتركيز على مرحلة

ك رئيس للحكومة، أن يخصص للفلسطينيين تمويل أقل من ذلك الذي سمح به كوليك). كما يُظهر "منفصلون وغير متساوين" حدود القوة الإسرائيلية، وخصوصاً عدم قدرة الإسرائيليين على السيطرة على الشوارع الفلسطيني بأي معنى من المعاني، ولا على إخضاع السكان عبر القمع واسع النطاق، ولا على استقطاب الفلسطينيين. وعلى الرغم من قيمة الكتاب، فإن المؤلفين يتناولون الموضوع من خلال مجموعة من الافتراضات تظهر مدى التزامهم التوافق الصهيوني بالنسبة إلى المدينة. ومع أنهم ينتقدون الحكم الإسرائيلي، فهم يرفضون الاعتراف بأن هذا الحكم ليس إلا احتلالاً غير قانوني، مخلدين الخرافة القائلة إن القدس تختلف عن باقي الأراضي الفلسطينية المحتلة. ولا يتحدث المؤلفون، ولو مرة واحدة، النظرة الصهيونية السائدة بوجوب الإبقاء في القدس الشرقية على تسع مستعمرات يهودية ممتدة - يسمونها "أحياء" - بالإضافة إلى مئتي ألف مستوطن. بل يتحدثون عن الصراع في المدينة على أنه بين دولة وشعب تحكمه بصورة شرعية. ويحدّ تمسكهم بأسطورة الديمقراطية الإسرائيلية تجاه فلسطيني القدس الشرقية من سلامة تحليلهم لأفعال السلطة الإسرائيلية في المدينة.

أما كتاب مايكل دمير "سياسة إسرائيل تجاه القدس منذ سنة ١٩٦٧" فيقوم على بحث بالغ الجودة، كثيف الهوامش، وعلى تفحص شامل للاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية. وتتميز دراسة دمير

في المدينة بين نخب مسيحية والدولة الإسرائيلية توأمت فيها هذه النخب مع الإسرائيليين لانتزاع الأراضي من الفلسطينيين في المدينة. ويخضع دمبر البطركية الأورثوذكسية لتدقيق خاص، كما يعتمد على أبحاثه السابقة لتوضيح الاحتكاك المعقد بين الدولة الإسرائيلية وإدارة الأوقاف الإسلامية. إن العدالة في القدس بالنسبة إلى الذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي لا تتحقق، كما يقول

تشيشين، بمجرد استبدال الإجراءات المفروضة من قبل الإسرائيليين، والتي يحكمها منطق "منفصلون وغير متساوين"، بأخرى منطقتها "منفصلون ومتساوون"، ولا هي جعل الاحتلال الإسرائيلي الشرس أكثر "تجاوباً" مع حاجات العرب. بل الأسئلة الأهم المطروحة تتعلق بتفكيك المستعمرات بقدر ما تتعلق بإبطال التفرقة. تفيد قراءة هذين العملين معاً المهتمين بسياسة إسرائيل تجاه المدينة. لكن بالنسبة

إلى تناول مناحي الاستيلاء الاستعماري، ينجح دمبر بما يثير الإعجاب، بينما يفشل تشيشين وزملاؤه.

توماس عبود

مرشح للدكتوراه

في الأنثروبولوجيا الثقافية

من جامعة كولومبيا،

نيويورك